مفاهيم التاريخ الاسلامي لمعايير السكن

م.احمد خلـف حسن م.علي عبد الحسين محمد
المعهد التقني / كربـــــلاء

الخلاصة

بين الاسلام أهمية توفير السكن للانسان [من خلال القران والسنة والفقه الاسلامي والتنظير من المختصين المسلمين] فوضع المسلمون خلال تاريخهم الطويل مفاهيم خاصة بالسكن عند انشاء المساكن .

وفي العصر الحديث تشعرنا المساكن بالغربة ونحن نعيش في علب أسمنتية مفتوحة على الضوضاء والتلوث وتعليقات المناخ ، مسخرين الانسان لخدمة جمال المبنى . فبات لزاما علينا تنبيه المجتمع الى الفجوة الكبيرة بين المسكن الاسلامي والمسكن المعاصر في مدننا العراقية محددين معايير اسلامية يمكن من خلالها العودة بالمجتمع الى المسكن الاسلامي الذي يلبي حاجة المسلم في الخاص والعام والبيئة والموقع والمتانة وغيرها.

وتم تثبيت ذلك في النتائج والمناقشة والتوصيات.

Abstract:-

Islam has proved the importance of making residen houses a available through [Quran , tradition and jurisprudence and theories of specialist Moslem researchers] . The Moslems and through their long history . have put special concepts concerning dwelling places when constructing houses.

In the modern time , dwelling places make us feel as if we were strangers living in cement cons and cubes open to the noise and contamination and climate changes , making use of man to serve the beauty of the building . There fore , we have to alarm the society of the big gab between the Islamic residence and modern residence in our Iraqi cities specifying Islamic standards through which we can take the society back to the Islamic residence house that meet the general and special needs with the environment , location and quality and others This was fixed in the results , discussions and recommendations.

أولا: المقدمة:-

جاء في القرآن الكريم[1] ((وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُم سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعِمِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُم وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَثاً وَمَتَعاً إِلى حِيْنٍ ، وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الجِبَال أَكناناً وَجَعَلَ لَكُم سَرابِيْلَ تَقِيْكُم الحَرَّ وَسَرابِيْلَ تَقِيْكُم بَأسَكُم كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُم لَعَلّكُم تُسْلِمُونَ)) النحل 80-81 . وجاء في الحديث الشريف[2] (ليس لإبن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يكسيه ، وطعام يكفيه) وفي حديث آخر (جنة المسلم داره) . ولذا فإن التصميم العماري العراقي يرتبط ارتباطا وثيقا بالإسلام كدين ودنيا , باعتبار الإنسان المسلم عاملا مؤثرا فيما حوله ، يقول الله تعالى ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيْم)) التين4، ومن هذا المفهوم يصبح الشكل العمراني والعماري للمجتمع المسلم بالضرورة تكاملا عضويا قائما على إيمان عميق بكلمات الله سبحانه وتعالى وأحاديث رسوله الكريم (ص) جامعا بين الملموس والمحسوس والإيمان الروحي القيمي والأخلاقي . وقد قرن الرسول الكريم (ص) القول بالعمل . فكان أول أعماله عند وصوله المدينة بناء المسجد النبوي وبيته . وهنا يبرز دور الإسلام بضرورة الاهتمام بالمسكن . فكان المسكن الإسلامي قائما على مقياس إنساني يحقق راحة وحرية وأمن وحاجات ساكنه مع الالتصاق بالتفكير الهندسي الذي تجلى في منجزات ضخمة قدمها العلماء من أمثال الخوارزمي وموسى بن شاكر وابن الهيثم وغيرهم من علماء ومهندسي العصر الإسلامي .

لقد انفصلت العمارة الحديثة عن المقياس الإنساني الإسلامي لكي تصبح تجريدا بلا هوية ولا انتماء عمارة من اجل فن العمارة أو الفن التشكيلي عامة . لهذا نشعر بالغربة ونحن نعيش قسرا في تلك العلب الإسمنتية المفتوحة الجوانب على الضوضاء والتلوث وتقلبات المناخ . لقد تم تسخير فن العمارة لخدمة جمال المبنى والشارع دون الشروط الوظيفية التي تم تجاوز اغلبها لمصلحة الشكل المستورد والنظري ، ومن المؤسف ان جميع مدننا العراقية تعاني اليوم من أزمة استيراد الطراز العماري وتتحمل بصبر التبعات التي يجرها هذا الاستيراد الطاغي ، في حين ان المطلوب ان نعمل على تصميم وتنفيذ عمارة أكثر ارتباطا بحاجات الساكنين الروحية مع المحافظة على التقاليد الاجتماعية السائدة والمبادئ الإسلامية وبما يحقق الارتباط الشامل بين الوحدات السكنية والدينية والتعليمية والتجارية والصحية والترفيهية بإعتبار ان الإنسان مركز الثقل الأساس في كل هذا التكوين العماري . ان العمارة الحديثة ترتكز على مفهوم الفضاء (space) بإعتباره احد اهم عناصر العمارة ، وقد أعطى (Steadman)[3] للمنهجية الوظيفية والفعالية بعدا فضائيا بقيم رقمية وكانها ذات تفسيرات اجتماعية محدودة ويمثل الجدول (1) بعض الدراسات وتقسيمها للفعاليات الوظيفية (الفضاءات)

ت	الدراسة	الفعاليات الوظيفية (الفضاءات)
1	Gottlieb , 1968 [4]	المعيشة ، النوم ، الخدمة
2	Adam , 1968 [5]	المعيشة ، الطعام ، النوم ، المطبخ ، المنفعة
3	Pollowy , 1977 [6]	العائلة ، الخاصة ، الخدمة
4	Spence , 1985 [7]	الهادئة ، الصاخبة ، الطعام ، الرسمية للضيافة ، المعيشة
5	Talcott and hepler , 1985 [8]	المعيشة ، النوم ، الخدمة
6	Amorim , 1997 [9]	بإعتبار القطاعات الوظيفية (الاجتماعي ، الخاص ، الخدمي ، الانتقالي)

جدول (1) الفعاليات الوظيفية في بعض الدراسات العمارية (من اعداد الباحثين)

وفي الثمانينات من القرن الماضي بينت دراسات (Bell Hillier)[10] نظرية ومنهجية قواعد تركيب الفضاء(Space syntax) بأخذ فضائين وعلاقتهما بفضاء ثالث .

ثانيا : هدف البحث :-

يهدف البحث الى تحديد بعض المعايير الإسلامية التاريخية [من خلال القرآن والسنة والفقه الإسلامي والتنظير العماري للمختصين المسلمين] يستفاد منها في مدننا العراقية من قبل (المختصين والمجتمع في الوقت الحاضر) لبناء المساكن .

ثالثا : منهجية البحث :-

ان الشروط العمارية لكل بناء تختلف باختلاف وظيفته ويتضح ذلك عندما نرى انه ليس من السهل تغيير وظيفة أي بناء دون التضحية ببعض أو جميع جوانب الوظيفة الجديدة . وبما أن المسكن هو اللبنة الأساسية في بناء المجتمع وتشكيل النسيج الحضري للمدينة .. وهو مأوى الناس ليحقق لهم الأمن والحماية من الاعتداء والفضول وتقلبات المناخ وضمان استمرار علاقاتهم الاجتماعية الداخلية وسلامة صحتهم وهدوء نفوسهم وبما يضمن البناء المادي والروحي والقيمي والأخلاقي لساكنيه .. فقد جاء في الآية الكريمة {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ }القصص58. وجاء في الحديث الشريف(على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه , وساعة يحاسب فيها نفسه , وساعة يتفكر فيها في صنع الله , وساعة يخلو فيها لحاجته في المطعم والمشرب)صحيح بن حيان ج2 ص78.

وبمقارنة المسكن العراقي الاسلامي في عصريه (العباسي والعثماني) والمسكن الحديث يتبين لنا مدى الانحراف الذي أصاب الأخير عن الوظيفة السكنية التي كانت الهدف الأساس من التصميم .. لقد خرق المصمم الحديث جميع الشروط الوظيفية لمصلحة الشكل المستورد والنظري وعند اكتشافه لهذا الانحراف لم يصحح ذلك الانحراف بالعودة الى المسكن التقليدي بل حاول ابتكار الوسائل التي ترفع انحرافات العمارة الحديثة فبعد ان كان البيت أمينا" لانفتاحه على الداخل سلطت الفتحات الى الخارج مسلحة بالمشبكات الحديدية وأنشأت الستائر الخشبية للتخفيف من حدة ارتفاع او انخفاض درجات الحرارة ولزيادة الأمان وبعد ان كان التكييف طبيعيا يعتمد على الأبراج و(البادكير) اوالملاقف المختلفة الانواع ظهرت المكيفات ووسائل التدفئة المختلفة للتخفيف من وطأة درجات الحرارة الخارجية (مرتفعة او منخفضة) التي لاتمنعها الجدران الإسمنتية التي لاتعزل البناء بل تنقل إليه التقلبات الحرارية مضخمة . لقد وفر البيت الحديث حاجة إسكانية وخفف نوعما من الأزمة التي عمت المدن العراقية ولكنه لم يستطع في الواقع تـأمين الحاجات الروحية لساكنيه ولم يستطع ان يحافظ على التقاليد الاجتماعية السائدة بل غير مبادئ العمارة تغييرا جذريا" وعرض الحياة الى اضرار الشارع التي أخذت في الازدياد مبتعدا عن المبادئ التصميمية والأنماط البنائية العراقية ما قبل الاسلام وما بعده وعناصره العمارية التي تفتقدها المجتمعات الأخرى متوفره في معظم الامدن الاسلامية كالشناشيل والمشربيات والمداخل المنكسرة (المزوره).. وغيرها .. متناسيا مايريده الإسلام من سكن يتوفر فيه استقرار الإنسان ليؤدي فيه العبادة والعمل بعيدا عن الإسراف والتبذير واتجاها نحو التواضع والتوسط في الأمور .. كمنهج عام يحدد سلوك المسلم في مختلف أوجه الحياة ، فقد جاء في الآية الكريمة {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }القصص83 وفي آية أخرى {لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }الحديد23. ومن المؤسف أن نعاني اليوم أزمة استيراد الطراز العماري ونتحمل بصبر التبعات التي يجرها هذا الاستيراد الطاغي .. فعلى العراقيين أن يكشفوا هذا الاستيراد وان يعملوا على تنفيذ عمارة أكثر ارتباطاً بالمناخ والعادات الإسلامية العربية في ظروف عصره الجديد وظروفه المستقبلية التي يطمح إليها إذ أن عمران المدن وإنشاء المباني ، عمل مستمر فلابد أن يكون التخطيط العمراني مستقبلياً طويل المدى .

رابعا : حدود البحث :-

يتم التقيد بطبيعة البناء في المدن العراقية المختلفة لصفات الأجواء المناخية والعادات الاجتماعية والتقاليد المتوارثة والظروف البيئية الأخرى لكون العراق احدى العواصم الاسلامية في مراحل مختلفة من حياة الدولة الإسلامية وقيمها المادية والمعنوية إضافة الى موروثه ، و تطوره العمراني الحديث خاصة وان العراق يحتوي على المباني التاريخية والمراقد المقدسة ذات الطرز العمارية المتنوعة بجماليتها ومتانتها وتنوع استخداماتها . مما قاد الى تحديد مبادئ النظام الاجتماعي للمجتمع المسلم التي تناولها الفقهاء والمفكرون المسلمون بالشرح والتحليل وترجمها البناؤون والعماريون الى عناصر وفراغات وأشكال معمارية ، حققوا من خلالها مفهوم الخصوصية في المساكن والوقاية لأفراد المجتمع مسخرين عناصر ومكونات البيئة في خدمة الإنسان مع متانة وتماسك البنيان وإبراز المعاني الجمالية في خلق الله مبتعدين عن التكلف محققين الوظيفة المطلوبة من المسكن .

خامسا : متن البحث :-

يقول الله عزّ وجل ((وَمِن ءآيَتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مّن أنفُسِكُمْ أزوَاجاً لِتَسكُنُواْ إلَيهَا وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحمَةً إنَّ في ذَلِكَ لأَيتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) الروم 21 . ونجد هنا تشبيه الزواج ((محور المجتمع الأساسي)) بالسكن .. إنه يأتي من السكينة وتعني الهدوء والسلام ولذلك فإن شكل المسكن الإسلامي من ناحية التصميم أصبح يحقق هذه الغاية .. لقد بدء الإنسان حياته في الأحراش والغابات متنقلا الى الكهوف ونحت الجبال ويتضح ذلك في قوله تعالى {وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ }الحجر82 . وبعد ذلك بدأ في تكوين المجتمعات السكنية من الحجر والطين تطورت لاحقا الى قرى ومدن ثم شيدت القلاع والقصور والحصون مرورا بحضارات مختلفة حتى الحضارة الإسلامية ومعاييرها الخاصة بالمسكن المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وحتى عصر إفول الدولة الإسلامية(العثمانية) ودخول معايير أخرى من الغرب أبعدت العمارة عن اصولها الإسلامية وعادات وتقاليد مجتمعنا العراقي . وبالتالي أبعدت المسكن عن الهدف الأساسي له في تأمين الحماية البيئية والأمنية لساكنيه . ولفهم بعضا من هذه المعايير سنتطرق لها بشيء من التفصيل .

1 - موقع المسكن :-

يعتبر من أهم المعايير الإسلامية قبل الشروع في البناء .فيجب أن يكون ملكا حلالاً خالياً من الملوثات البيئية ومنسجما مع النسيج الحضري للمدينة . ضمانا لفرص العمل والخدمات والواقع الاجتماعي والثقافي و الأخلاقي . وبين الإسلام كراهة اعتماد المستوى المادي والطبقي كأساس لتوزيع الأراضي السكنية[11] كما هو سائد في مدننا المعاصرة . وعادة ماتنشأ المساكن على هيئة أزقة متعرجة وشوارع مسدودة النهايات أراد منها المصمم الإسلامي الاهتمام بتجميل الموقع والتحكم بالطقس رابطاً ربطا شاملا بين الوحدات السكنية من جهة والدينية والتعليمية والتجارية والصحية والترفيهية من جهة أخرى باعتبار الإنسان مركز الثقل الأساس في كل هذا التكوين العماري مهتما بتحقيق التناسق والتوازن بين وحدات التصميم العمراني عن طريق تكامل هذه الوحدات لتكون في مجموعها شيئا واحدا مساعدا على توفير الإحساس الجمالي عند الإنسان ، فتجد دائما تناسقاً متوازنا بين الوحدات العمارية في تنظيم جميل باعتبار ان الجانبين الجمالي والموضوعي للتصميم هما فرعان لأصل واحد .

في حين اعتمد المصمم الحديث مبدأ وحدة الجوار السكنية مرادفة لمبدأ الزقاق القديم وشكل المحلة من عدد من وحدات الجوار السكنية جامعا (4 محلات سكنية) لتشكيل الحي السكني الواحد[12] . ان وحدة الجوار السكنية : هي عبارة عن دور سكنية أو شقق لـ(100-450 نسمة) كما تشمل الفضاءات المفتوحة العامة وطرق الخدمة ومماشي السابلة ويفترض ان تكون منطقة متجانسة تقوم بمهام المحلة العراقية مع الوحدات المجاورة ويفضل ان تكون الدور السكنية من نمط واحد . وتمثل مجموع مساحة الوحدة السكنية مصطلح المساحة الصافية للسكن (Net Residentiul Area). كما تحتوي المحلة على فضاءات عامة مفتوحة تشمل أماكن استراحة للكبار وساحات لعب للأطفال شرط ان لايزيد طول الزقاق المغلق عن 150م . ان الطبيعة الخاصة لكل منطقة جغرافية لا بل لكل مدينة تجعل من الصعب على المصمم وضع معيار عام لكل الحالات ولكن علينا ان نعلم ان لكل مدينة تميز بموقعها وبيئتها ومعالمها وطبيعة سكانها وحجم وخواص اقتصادها ومستواها الثقافي والاجتماعي وكذلك نشؤها وتطورها عبر مراحل الزمن وتأثرها بالمدن والمستوطنات الحضرية القريبة منها والبعيدة . وقد وضح لنا ابن سينا أنواع المساكن تبعا لمكانها الجغرافي وتعرضها للعوامل البيئية وخلص الى ان أماكن المساكن يجب ان تكون في ناحية المشرق وان يتم توجيه فتحاتها من أبواب وشبابيك باتجاه شرق الشمال لتمكين الرياح المشرقية وهي الأكثر نقاءا وصفاءا من مداخلة الأبنية وكذلك تمكين الشمس من الوصول الى كل موضع فيها. ويجب ان يأخذ بنظر الاعتبار عند اختيار الموقع تسخير عناصر ومكونات البيئة في خدمة الإنسان لاستثناءاتها وتطويقها في بيئته المبنية سواءا كانت مسكنا أو مسجدا أو مدرسة أو خلاف ذلك . فترى ان القرآن الكريم سخر عناصر البيئة وسخر نقيضها في البيئة نفسها كوسيلة لتطويقها . فسخر الشمس وسخر الظل نقيضا لها وسخر الضوء وسخر الظلمة نقيضا له وسخر النهار ونقيضه الليل وهكذا باقي عناصر البيئة الأمر الذي خلق نوعا من التوازن أو التكامل النسبي . ان هذه المنظومة البيئية تطورت من مرحلة الطرح المعرفي في القرآن الكريم الى مرحلة التقنين في الفقه الإسلامي ثم الى مرحلة التنظير في الفكر العماري[13].

2 – حاجة ومصلحة الساكنين :

جاء في القرآن الكريم {.... وَءاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } الأنعام141. وفي الاية الكريمة { وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً } الفرقان67 . ومن هنا نرى ان الإسلام يذم الإسراف والتبذير وعليه وجب ان يكون البناء وفق حاجة الإنسان ومصلحته وما يحقق تلك الحاجة على أحسن وجه مؤكداً على عدم التباهي وطلب

التواضع وهو مايمثل المسلم في سلوكياته المختلفة متجسداً في العمارة كماً ونوعاً . وقد قال الله سبحانه وتعالى {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً }الإسراء27. وقد جاء في مقدمة ابن خلدون[14] في مجال الترف غيرالمبرر وآثاره السلبية على أصحابه (الترف والنعمة إذا حصلتا لأهل العمران ، دعاهم بطبيعته الى مذاهب الحضارة .. وقد أشار بعض المفسرون الى ان بناء القصور العالية والحصون والأبراج وغيرها ترقى الى مستوى الخلود ففي الآية الكريمة { أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ{128} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ{129} الشعراء وقد أشار التوحيدي[15] الى أمثال هؤلاء الناس من أصحاب تلك المباني بأنهم قوم غلبت عليهم اللذات الخيالية وطلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر ، وقد نهى الإسلام عن التطاول في البناء للدور الواحد ولم يمنع تعدد الأدوار لأنها من حقوق المالك في حالة الحاجة الى ذلك وحتى في تحديد ارتفاع السقف عند الحاجة وليس لأغراض الترف غير المبرر وهذه القيمة ليست مبدأ أخلاقي فقط وإنما هي معيار مهم في حدود دراسة اقتصاديات البناء منعا لهدر أموال المسلمين فيما لاينفع في الدنيا ويجلب الضرر في الآخرة ، وقد أشار ابن الرامي[16] في كتابه أحكام البنيان الى ارتفاع البناء وحجمه وموقعه وأبعاد شبابيكه وفتحات التهوية وغيرها . وقد جاء في الحديث الشريف[2] (من بنى فوق مايكفيه كلف يوم القيامة ان يحمله على عاتقه) . أما وفق المعايير الحديثة فإن من حق الأسرة امتلاك وحدة سكنية مستقلة[17] بها متضمنة فضاءات متناسبة مع عدد ساكنيها ومجهزة بالماء والكهرباء مع خضوعها لأنظمة الراحة البيئية (مساحات ، هواء ، شمس) مع توفير الخدمات الاجتماعية ووسائل النقل العامة . وعلى ضوء الوضع الاجتماعي للأسر الحضرية تم تحديد مساحات الوحدات السكنية . ان تحديد هذه المساحة جاء متوافقاً مع حجم ومقاييس الأثاث واللوازم الضرورية وبالشكل الذي يؤمن حرية الحركة وحسن الاستعمال ومن هنا نرى ان المسكن هو لأداء وظيفة وليس للتباهي والتفاخر بين الناس وقد جاء في الحديث الشريف[2] (كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا بناء كفافاً) وقد طبق الرسول (ص) هذا المفهوم في بناء مسجده في المدينة المنورة وفي بيوت زوجاته من الجهة الجنوبية الشرقية بالمسجد والوظيفة في الفكر العماري الإسلامي وإن كانت وليدة أسباب اجتماعية ودينية واقتصادية كما عبّر عنها الحديث إلا إنها لاتعني الالتزام بالتجريد الشكلي والاكتفاء به ، وإلغاء العنصر الجمالي فيه وإنّما المراد بها ان لايكون التكلف في البناء وبخاصة بناء المساجد سنة متبعة ترهق المسلمين إقتصادياً وربّما يتعذر عليهم بناؤها فالوظيفة اذاً جاءت تيسيرا وتسهيلا لحاجة اجتماعية هي عملية البناء وليست مذهبا جماليا يحكم الانتاج العماري .

3 - تحديد العام والخاص :-

قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءآمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }النور27. وفي الحديث الشريف[2] (من اطّلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حلّ لهم ان يفقأوا عينه) . فغض الأبصار والاستئذان قبل دخول المسكن من الأولويات التي يجب على المصمم أخذها بنظر الاعتبار وقد انعكس غض البصر على تصميم المداخل بتكسرات تسمح بوقوف الضيف في مكان لايرى فيه أهل الدار وخاصة النساء . ومنع ضرر الكشف من خلال اختياره لموقع فتحات الأبواب والشبابيك وملاحظة الفصل المناسب للفضاءات داخل المسكن لمنع الاستماع من فضاء الى آخر من غير المسموح به ويعالج ذلك بالحجم والتنظيم . ومن هنا جاء تحديد العام والخاص داخل المسكن وخارجه فغرف المعيشة والفضاء الداخلي والمصلى والمطبخ إلخ هي فضاءات عامة أما غرف النوم (للزوجين ، للبنات ، للبنين) فهي فضاءات خاصة جداً تتبعها في الخصوصية غرف الخدم والحمامات .. إلخ . مراعي في كل ذلك الاستئذان والاستئناس بعيداً عن المحرمات وهذا مايجب على العماري أخذه بنظر الاعتبار وحريته في التصميم فيما عدا ذلك . وتعتبر الخصوصية من أهم الأمور التي يؤكد عليها الاسلام كما تعتبر من الأسس الرئيسية للتصميم العمراني فالمداخل لاتفتح على الفناء الداخلي مباشرة وإنما تأخذ تغييراً في الاتجاه مرة أو مرتين كذلك تجد ان المباني عامة تفتح أساسا الى الداخل وليس الى الخارج وهناك أيضا مراعاة زوايا الرؤية في تحرك الإنسان بحيث لاتكشف عما يفضل الإنسان ان يكشفه وكذلك استعمال المشربية التي تسمح للداخل ان يرى ما بخارجها وليس العكس علاوة على الشوارع المتعرجة والضيقة التي تمنع بصورةٍ ما دخول المرور غير المرغوب فيه وكل ذلك مايجعل المسكن آمناً مستقلاً عن العالم الخارجي له ذاتيته وشروطه الخاصة ولضمان كل تلك الخصوصيات قسم الإسلام المسكن الى عدد من الأقسام هي[11] :

أ . الحجرة : وهي مايمثل في عصرنا الحاضر غرفة الجلوس وتكون بخصوصية أقل ويفضل ان تكون لها بابان احدهما لدخول الضيوف والأخرى لأهل المسكن ففي عهد الرسول الأكرم(ص) كان لمكان الجلوس في داره بابان احدهما لدخول الصحابة والأخرى خاصة به . ويفضل ان تكون مقابل القبلة وقد قيل [إن كل شيء شرف وإن أشرف المجالس ماأستقبل القبلة][18] .

ب . الدار : ويقصد بها الساحة الداخلية وعادة ما تكون أكثر عمومية للساكنين من زوجين وبنين وبنات .

ج . البيت : والمقصود منه غرفة النوم حيث الأكثر خصوصية ومنها غرفة الزوجين ولها حرمتها المطلقة وغرفة البنات وغرفة البنين حيث أمر الرسول (ص) بالتفريق في المضاجع بين البنين والبنات .

د . أماكن الخدم والفضاءات الخدمية كالمطبخ والحمام والمرافق .

هـ . الستارة : فقد أمر الرسول (ص) بعدم النوم على السطوح الغير محاطة بالستارة العالية لضمان عدم إيذاء المسلمين المجاورين بالنظر إليهم

ويمكن اجمال الفضاءات العمارية في الوحدة السكنية العراقية حسب وظيفتها الأساسية الى :

أ.الفضاءات القابلة للمنام (Habitable Room) وتتكون من فضاءات المعيشة والاستقبال وفضاءات النوم والتي بإمكان أفراد الأسرة العراقية استخدامها للنوم أحيانا.

ب.فضاءات الخدمة وتتكون من المطبخ والحمام ودورة المياه والمخزن .

ج.فضاءات الحركة والتي تمثل المسالك الداخلية الرابطة بين مختلف فضاءات الوحدة السكنية .

4 – الحاجات الروحية :-

إن من الأمور التي تزيد من قساوة القلب وزيادة تعلق الإنسان بالدنيا ومتاعها الزائل ونسيان الخالق هو الانقطاع عن التفكير في الحاجات الروحية من خلال آيات الله وتعظيمها {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ }ق6 {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }البقرة29 . فعلى الإنسان التفكير والتدبر بالآيات الكريمة ورصد الشمس والقمر والنجوم والكواكب ... وقد ترجم المسلمون العراقيون ذلك من خلال الفضاء الداخلي أو صحن الدار أو الحديقة داخل المسكن لتوفير فضاء مفتوح متصل بالسماء ويكون مصدرا للراحة النفسية والرياضة الروحية . وبما ان مصدر الجمال هو التفكير والتأمل في خلق الله وان التصور في القرآن الكريم هو الوسيلة التي عنيت بإبراز المعاني الجمالية في خلق الله فإن هذه المعاني هي التي شكلت جمال المسكن الإسلامي . ولذلك وبهذا المفهوم فإننا سنجد دائما ان المسكن الاسلامي يصبح بالضرورة تكاملا عضويا قائما على التفكير والإبداع والموهبة الرائعة ناتج عن إيمان عميق بكلمات الله سبحانه وتعالى وأحاديث رسوله الكريم (ص) . ولذا فان المسكن الإسلامي يجمع بين المحسوس والملموس والإيمان الروحي ومن اجل هذا يصبح مفهوما أكثر الآن . لماذا يمكن القول ان المسكن الاسلامي يرتبط ارتباطا وثيقا بالإسلام كدَيْنٍ ودنيا والإسلام منذ شروق فجره اظهر لنا ان المسلمين امة واحدة يربط بينها الإيمان الذي ينعكس على كيفية الحياة . ويقول الله عزَّ وجل {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ..... }آل عمران110. ويقول سبحانه وتعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }الأنبياء92 وهكذا يصبح الإنسان في المجتمع الإسلامي عاملا مؤثرا فيما حوله .

وفي المساكن الإسلامية تجد دائما ان الفراغات والكتل الصامتة يكمل بعضها بعضا في مستويات مستقيمة أو منحرفة أو منحنية يربطها ببعضها شبكة من الطرق المتعرجة والمنحنية والتي يحس فيها دائما بالحركة المتزايدة التي تنتهي عادة بكتل وفراغات كل ذلك في إحساس رقيق فنان يمكن تشبيهه بسيمفونية موسيقية بألحانها البديعة فيها مراحل متعددة من البدء ثم الانتقال الى الانتهاء وهذا نابع من أهمية العلاقة بين التكامل في المجتمع الإسلامي والتوحيد أساس الإيمان الإسلامي .ان من أسس الدين الإسلامي الحنيف وحدانية الله سبحانه وتعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} اللَّهُ الصَّمَدُ{2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ{3} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4} الإخلاص . ولقد جاءت الرسل لتؤكد وحدانية الله سبحانه وتعالى ويصف الله نفسه في سورة النور {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }النور35. فنجد ان التصميم الإسلامي يركز على حقيقة التوحيد .. والتكامل .. كما يعبر تعبيرا بديعا عن النور .. والضوء .. والاضاءة ..لذلك نجد ان الوحدانية تنعكس في الفراغ والمادة والضوء واللون والكتلة .. وفي مجال الضوء فلابد من القول ان الألوان تحدث من استقطاب الضوء .. والضوء نفسه يوحد كل الألوان ولقد عرف المسلمون ذلك ووعوه فكانت حساسياتهم كبيرة للضوء واللون .. والظل . ليس فقط (كما) و(كيفا) يقول الله سبحانه وتعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً }الفرقان45 , ويقول سبحانه {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً ..... }النحل81, وهنا تبرز قيمة وأهمية الظلال والضوء في التكوين الإسلامي للمسكن .

ان الأشكال الهندسية وعلى رأسها استعمال الخط المستقيم , والمربع والمستطيل والمثلث (التي تتكون من عدة خطوط مستقيمة) من قبل المصممين المسلمين لم يأتي من فراغ إذ يقول الله سبحانه وتعالى { اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ{6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ{7} الفاتحة , فالخط المستقيم أساس التصميم . وهنا يمكن ان نذكر ان المباني عامة والتكوين العمراني خاصة يمثل ببعده الثالث وصلا بين السماء والأرض كما يقول الله سبحانه وتعالى { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ..... }السجدة5, ويقول سبحانه وتعالى { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء بِنَاء ..... }غافر64 , وعادة مايدخل المصمم الإسلامي في تصميمه الوحدات الهندسية الزخرفية التي يمكن ان تنفذ على الطين أو الطوب أو الخشب أو المعدن أو الخزف أو السيراميك بألوانها الزخرفية وملمسها المتنوع في وحدات ذات قيمة كمية وكيفية . حيث ان هذه الوحدات الزخرفية في أشكالها اللانهائية تعكس الذوق الإسلامي . وتأكيده للألوان والأشكال والملمس ، ان هذه الوحدات الزخرفية المتكررة وتصميماتها سواء الورود أو أوراق الشجر أو الأشكال الهندسية تعبر تعبيرا صادقا عن استمرارية الحياة , رغم إمكانية الحصول على صورة متكاملة لأي جزء فيها . يقول سبحانه وتعالى {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ..... }القصص77, وكما ان هذه الوحدات المتناغمة تظهر إيقاعات متكررة تعبر عن التكاثر والازدياد والآية الكريمة التالية تقرب الى الذهن مانتحدث عنه {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ...}الأعراف189. وبجانب الوحدات الزخرفية الجمالية نجد ان المصمم المسلم قد ادخل فن الخط بأنواعه الجميلة لتحسين وتجميل وتزيين المباني.

5 – التماسك ومتانة المسكن :-

ان المفهوم العماري الأكثر حضورا في الفكر الإسلامي هو المتانة[19] , فمتانة البنيان وتماسكه هي النموذج الذي اسقط عليه القرآن الكريم قوة الإيمان وتماسك بنية المجتمع ويتضح ذلك في قوله تعالى {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }التوبة109. والمتانة كما وضحها القرآن هي مصدر الأمان والطمأنينة والتي يتحقق بها الاستعمال للمباني على اختلاف وظيفتها كما في قوله تعالى {وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ }الحجر82 , فالمتانة إذن شرط من شروط الاشغال والاستعمال للمباني . وعليه يجب استخدام أساليب تنفيذ تضمن المحافظة على المسكن ومتانته وقوته وأمانه شريطة استخدام أنماط اقتصادية تمنع هدر أموال المجتمع والفرد تيمنا بقول الرسول الكريم (ص) ((الَّذِي أغناه الله وَلكنه اختار الزهد في المسكن لينعم في الآخرة) وفي حديث آخر (من بنى بنياناً فليتقنه)[20] كما ان صيانة البناء من واجبات المسلم وقد روي عن الرسول (ص)انه رأى فرجة في لبنة قبر ابنه إبراهيم فأمر بإصلاحها قائلا

أما أنها لاتضر ولاتنفع ولكن العبد إذا عمل عملا أحب الله ان يتقنه(بن خلدون ص30) كما عمد المصمم الى ان تكون المنشآت التي تجابه المدينة تكون بواجهات مغلقة إلا من فتحات عالية صغيرة ومحدودة تقدم الضمان الأمني من أي عدوان خارجي أو أي فضول من الآخرين.

لقد اهتم المسلمون بإظهار المعالم الإنشائية في تصاميمهم بصورة واضحة سواء في شكل أعمدة أو قباب أو عقود أو أقواس أو بروزات أو غيرها[19] وان ارتباط المباني بالأرض يعطي إحساسا بالأمان يقول الله سبحانه وتعالى {اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ..... }الرعد2. ويقول سبحانه وتعالى عن إرساء دعائم وأساس المبنى {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ .... }البقرة127 .

أما اليوم فأن التطور التقني لايتعارض أبدا مع المحافظة على التراث العماري إذ أوصل المصمم الى الفهم الحقيقي لأسباب ووسائل التصميم في المجتمع الإسلامي التي اوحت للمصمم باتخاذ شكل معين في إطار معين تؤثر أساسا على كيفية ووسيلة المعيشة التي يتسبب المصمم في تحقيقها لأفراد المجتمع الإسلامي .

6 – الظروف البيئية :-

تتجلى عظمة الإسلام حتى في تحديد مواصفات المجالس .. فقد نهى الرسول (ص) عن الجلوس في الشمس أو بين الظل والشمس مبينا ان افضل موقع للجلوس هي الأماكن المظللة المسقفة . وقد أكدت أحكام البنيان الإسلامية على ضرورة المحافظة على حقوق المسلم البيئية كحق الهواء والشمس وغيرها حفاظا على سلامة وصحة المسلم نفسيا وبدنيا ويتم ذلك من خلال الصحن الداخلي (الفناء) . وهذا ماتؤكد عليه المعايير المعاصرة حيث وجوب إعطاء معايير مستلزمات الراحة البيئية من إضاءة وتهوية طبيعية وتجنب انعكاسات الضياء الساطع ((الحماية من الحرارة المرتفعة وتوفير العوازل الحرارية المختلفة إضافة الى إعطاء معايير التأسيسات والتجهيزات والأعمال الانهائية في الوحدة السكنية مع ما تتطلبه الظروف البيئية المحيطة خارج وداخل المسكن)) كما أشارت التعاليم الإسلامية الى عدم جواز ممارسة أعمال داخل الدور تسبب الضوضاء والضجيج إذ ربما يتسبب عنها اهتزازات تؤدي الى الأضرار بالدور المجاورة بالإضافة لما تحدثه من إزعاج لسكانها {16} .

أما استخدام الملاقف وأبراج التهوية فما هي إلا وسيلة من وسائل تلطيف الجو والتحكم في حركة الهواء والاستخدام الأمثل للتهوية وخفض درجات الحرارة , كما ان تحديد مساحات خضراء في المساكن تعمل على تنقية الهواء وتقليل الضوء وتحسين الطقس . وهنا نرى قيمة وأهمية الظلال في التكوين العماري الإسلامي . وأخيرا وليس آخرا هو ان المعمار الإسلامي قد عرف دائما قيمة الليل والنهار وما يصاحب ذلك من تغيير أو تكييف في شكل التصميم ولذلك نراه قد اخذ هذه العوامل في الاعتبار . يقول الله سبحانه وتعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً ..... }يونس5. كما نجد الخضرة في الأماكن المفتوحة ونجد توجيهات المباني بما يراعي اتجاهات الشمس ونجد استعمال المشربيات في النوافذ ونجد البروزات التي تضفي ظلالا محددة على المباني والشوارع وفي كثير من الأحيان نجد ان شوارع الأسواق مغطاة ونجد إشكالا معمارية متميزة كالأقواس والقباب والمخارج وغيرها تساعد على توفير الظلال بأشكالها المتنوعة ولم ينس المصمم تأثير الهواء وأهمية حركته في المباني والطرق عبر وسائل سبق ذكرها بحيث تحقق الحركة بما يوفر التحكم في تلطيف الجو كما أحسّ المصمم المسلم بوجود السحاب وقيمته في التصميم وحركته بقوله تعالى {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ..... }البقرة57.

ان حركة الهواء الخارجي لاتمتد الى داخل فناء الدار لعدم وجود تيار يجرها إليه ولذلك فأن تلوث البيئة الخارجية لايؤثر على البيئة البيتية ولا ينفذ إليها وكذلك فأن انفتاح البيت على الداخل يحميه من الضجيج والفضول لقد حقق الفناء الداخلي تكييفا طبيعيا فهو يتيح للساكنين في المسكن الاسلامي التمتع ببركة الماء والأشجار وأزهار الياسمين وبظلال الأروقة والاواوين صيفا , كما ان هواء الفناء الساكن لايسمح بتأثير المناخ البارد الخارجي شتاءا يضاف الى ذلك ان مواد البناء العازلة بطبيعتها وهي الطين والخشب تساعد على حفظ الحرارة داخل المسكن في حين نرى ان المدينة الحديثة مازالت ترزح تحت تأثير الأجهزة الحديثة المكلفة من جهة والضارة بالصحة من جهة أخرى . وصح من قال ان الفناء الداخلي(الحوش) هو الرئة الأساسية للبيت العربي وهي رئة محصنة من أي تأثير خارجي[21] .

7 – مساحة وقياس المسكن :-

لقد حرم الله التبذير والإسراف البعيد عن الحاجة الفعلية فيجب ان تحدد المساحات والحجوم ومعدل المساحة الخاصة لكل فرد وبما يكفل راحة الإنسان وسعادة المجتمع وتحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات . ويتم ذلك من خلال تصاميم تحمل أعلى كفاءة وظيفية وعدم هدر المساحات الصافية كما في عصرنا الحاضر حيث ان المساحات الصافية للوحدات السكنية للأسر المنفردة تتراوح بين(75م2 الى 195)[12] , حيث خصصت مساحة 6م2 للشخص الواحد في غرفة النوم كحد أدنى أما المساحة الصافية للمطبخ فتتراوح بين (6-8)م2 . في حين ان المساحة الصافية للحمام 3م2 ودورة المياه بمساحة 1,5 م2 . على ان يتم تخصيص 3م2 للشخص الواحد لغرض النوم الخارجي على ان لاتتجاوز مساحة الحركة الداخلية للوحدة السكنية نسبة 15% من مجموع مساحة الفضاءات القابلة للنوم وفضاءات الحديقة . وان لايزيد ارتفاع فضاء المعيشة والخدمة عن 3م كما يمكن خفض الارتفاع الى حد لايقل عن 2,35 م في دورة المياه والحمام والمخزن وبعض مسالك الحركة الداخلية وكل تلك المساحات هي الحدود الدنيا المطلوبة .

تعبر المساحات المفتوحة عن كثير من الأحاسيس وبخاصة إذا تكاملت المساحات الايجابية والسلبية وارتبطت هذه المساحات بالبعد الثالث الذي يكون فراغا محددا يحس الإنسان انه جزء منه يكمل الشكل التصميمي بصورة جميلة ، يقول الله سبحانه وتعالى {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ }سبأ18 ، فالمساحة المفتوحة تعتبر جزءاً لايتجزأ من الكتل البنائية وهذه الكتل هي التي تحدد بصورة ما الشكل الكلي لهذه المساحة حيث نجد ان المساحات الداخلية والخارجية في التصميم العمراني الإسلامي يكمل بعضها بعضاً .

لقد احترم المصممون المسلمون[21] غالبيتهم القياس الإنساني وارتبط ارتفاع المباني بالإنسان وكان ذلك انعكاسا أكيدا لثلاث قيم تراثية إسلامية هي(التواضع والمساواة والإنسانية) . يقول الله سبحانه وتعالى {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }لقمان18. وقد تنبه المصمم الإسلامي الى وسائل معمارية تحقق مفهوم الوقاية من الانهيار الأخلاقي والاجتماعي لمن يمكن إغراؤهم بالنظر الى بيوت غيرهم من خلال النوافذ وهذه الوسائل تباينت تبعا لظروف حدوثها ، ففي الكوي التي تقع بين الدور عولجت بألا يقل ارتفاع جلستها عن ارتفاع قامة رجل واقف على سرير أي حوالي 3م وذلك حتى لايتمكن سكان البيوت من النظر الى جيرانهم . أما إذا كانت النوافذ مطلة على الطريق فيجب ألا يقل ارتفاع جلستها عن منسوب الطريق عن حوالي 1,98م الأمر الذي يتعذر معه النظر الى داخل البيوت .

سادسا : النتائج :-

سنتطرق الى أهم المعايير التاريخية للمسكن الإسلامي وفق ماجاء في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وآراء فقهاء وعلماء الفكر العماري الإسلامي .

1. سبق الإسلام القوانين الدولية الخاصة بحقوق الإنسان ب(14)قرنا . بتحديده تلك الحقوق وخاصة في مجال السكن .
2. كثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء المفكرون والعلماء التي تناولت البناء من كل جوانبه ويعد المسكن من ضرورات ديمومة الحياة وواجب توفيره لكل عائلة بغض النظر عن العرق والدين والمذهب .
3. التسخير البديع لعناصر البيئة في خدمة الإنسان وسلامة البنيان مع إبراز معاني الجمال في خلق الله بعيدا عن التكلف والتصنع وتحقيق الوظيفة المطلوبة لكل فضاء في المسكن .
4. التأكيد على الأدب السلوكي والمحافظة على التقاليد الاجتماعية وتحديد الخاص والعام من الفقهاء والمفكرون المسلمون لكل مسلم .
5. أهمية سلامة الموقع من حيث الملكية والملوثات البيئية والانسجام مع العمارة المجاورة.
6. التشديد على عدم الإسراف والتبذير وتحديد المساحات وفق الحاجة الفعلية مع عدم إغفال العناصر الجمالية لكل مسكن خصوصا ولكامل المدينة عموما .
7. المتانة هي المفهوم العماري الأكثر حضورا في الفكر الإسلامي الذي اسقط عليه القرآن الكريم قوة الإيمان وتماسك البنيان .
8. اظهر المسلمون المعالم الإنشائية بشكل واضح في تصاميمهم على شكل أعمدة وقباب وعقود وأقواس وبروزات وغيرها حيث ارتباط المباني بالأرض يعطي إحساسا بالأمان {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }البقرة127.
9. اعتماد القياس الإنساني من قبل المصمم في تحديد ارتفاع المبنى ، وارتفاعات الفتحات والشبابيك تحقيقا للمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية .
10. لم يكن المستوى المادي والطبقي حاضرا في التصاميم الإسلامية للمساكن كما نراه اليوم .
11. حسن اختيار المواد البنائية وأساليب التنفيذ التي تحقق ماورد أعلاه من مفاهيم .
12. وضوح عبقرية العلماء المسلمون بمنجزاتهم الضخمة من أمثال الخوارزمي وموسى بن شاكر وابن الهيثم واضع أسس وقواعد رسم المنظور الهندسي وابن سينا في نقاشه التفصيلي لأنواع المساكن تبعا لموقعها الجغرافي والعوامل البيئية المحيطة بها .

سابعا : المناقشة :-

يتضح مما سبق ان الإسلام قد نبه الى حقوق الإنسان في المسكن والمأكل والمشرب في حين لم تنتبه القوانين الدولية الخاصة بحقوق الإنسان لهذه الخصال إلا في عام 1991[17] في الدورة السادسة الفقرة (1) و(11) التي أقرت بالسكن الملائم للإنسان معطية خطوطا عامة غير تفصيلية وقد سبقها الدين الإسلامي بذلك بـ(14) قرنا . ومن هنا أصبح لزاما علينا كمسلمين ان نبادر الى إحياء حضارتنا الاسلامية بإعادة دراسة تاريخنا الإسلامي في مجال البناء

والاعمار لنتوصل الى ماتوصل إليه أجدادنا الأوائل من ربط تصميم المساكن في العراق ربطا وثيقا بالإسلام الديني والدنيوي حيث ان الإسلام ينظم حياة البشر في الدنيا ويضمن الثواب والعقاب في الآخرة . فكان المسكن الاسلامي يربط بين الجانب المادي والروحي . فكثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكتب الأولياء والصالحين والعلماء والمفكرين التي تناولت البناء من كل جوانبه معتبرة ان السكن من ضروريات ديمومة الحياة وواجب التوفير لكل عائلة شريطة ان يقوم على مقاييس إنسانية تحقق ما يصبو إليه الإنسان من راحة وأمان وتلبية لحاجاته من اجل خير الدنيا والآخرة . ولايبتعد عن التفكير الهندسي الذي تجلى بوضوح بالمنجزات الضخمة التي قدمها العلماء من أمثال الخوارزمي وموسى بن شاكر وابن الهيثم[22] ذلك العبقري الذي عرض لتكوين الأشكال والصور من خلال علم البصريات فأسفرت محاولته عن وضع قواعد وأسس رسم المنظور الهندسي فذكر ان الصور تتكون وتدرك من خلال المعاني الجزئية المكونة لها والتي تنقسم بالجملة الى اثنين وعشرين قسما هي (الضوء ، اللون ، البعد ، الوضع ، التجسم ، الشكل ، العظم ، التفرق ، الاتصال ، العدد ، الحركة ، السكون ، الخشونة ، الملامسة ، الشفيف ، الكثافة ، الظل ، الظلمة ، الحسن ، القبح ، التشابه ، الاختلاف) ولكن المقياس الهندسي الإسلامي لم يكن مجرداً كما آلت إليه العمارة الحديثة التي هي عبارة عن تجريد بلا هوية ولا انتماء وإنما فن عمارة أو فن تشكيلي عام . وليس من اجل الإنسان العربي فأشعرته بالغربة وهو يعيش قسرا في كانتونات مفتوحة لتلقى الضوضاء والتلوث وتغيرات الطقس ، سخرت لخدمة تجميل المبنى وإحاطته بشوارع عريضة لسيارات وحافلات تلقي بملوثاتها لتصل مباشرة الى الإنسان التي حاصرته العمارة الحديثة في بيته

المغلق دون النظر الى الشروط الوظيفية الواجب توفيرها له وإنما فضلت الشكل المستورد على حساب ذلك الإبداع الإسلامي الذي جعل الإنسان قيمته العليا وشيد القلاع والحصون والمساجد والمباني على مر الازمنة مع محافظتها على مصلحة ومنافع الإنسان . وليس كما في مدننا الحالية التي استوردت الطراز العماري الغربي دون ملاحظة متطلبات واحتياجات الفرد العراقي والمسلم على حد سواء ودون مراعاة للتقاليد الاجتماعية والتعاليم الإسلامية التي هي من أسس تكامل المجتمع العراقي الإسلامي.

ورب قائل ان المسكن الحديث قد وفر حاجة الإنسان في المسكن وخفف نوعما من أزمة السكن التي عمت المدن لكننا نرد عليه بأن ذلك لم يستطع في الواقع تأمين الحاجات الروحية للساكنين علاوة على عدم محافظته على التقاليد الاجتماعية السائدة بل غير مبادئ العمارة جذريا معرضا الحياة الى أضرار بيئية وصحية وتكلفة اقتصادية وهدرا لأموال المسلمين مع ابتعاده عن الأنماط البنائية الإسلامية بعناصرها العمارية من شناشيل ومشربيات وملاقف وغير ذلك . مع نسيان مستلزمات الإنسان في تأدية العبادة والعلم والتعلم والعمل وفق منهج عام يحدد سلوك المسلم في مختلف أوجه الحياة .لقد كان جل اهتمام الفقهاء والمفكرون المسلمون في تحديد النظام الاجتماعي لمجتمعنا المسلم فكانت شروحاتهم وتحليلاتهم خطى يسير على أثرها البناؤون والعماريون محققين من خلالها خصوصية المساكن والمحافظة على الساكنين مسخرين عناصر البيئة في خدمة الإنسان ومتانة وتماسك البنيان مع إبراز معاني الجمال في خلق الله والابتعاد عن التكلف والتصنع مع ضمان تحقيق الوظيفة المطلوبة من المسكن .

لقد لخص المسلمون معايير مهمة في البناء الإسلامي بأختيار موقع البناء من حيث ملكيته وخلوه من الملوثات البيئية وانسجامه مع النسيج العمراني للمدينة دون اعتماد المستوى المادي والطبقي كعنصر أساس في هذه العمارة ، ونجد ان التناسق المتوازن بين وحدات العمارة الإسلامية موجود بتنظيم جميل. ومن الصعوبات التي تواجه المصمم الآن الطبيعة الخاصة لكل موقع جغرافي مما يجعل من الصعب عليه وضع معيار عام لكل الحالات في حين نرى ان ابن سينا قد ناقش بشكل تفصيلي أنواع المساكن تبعا لموقعها الجغرافي والعوامل البيئية المحيطة بها واضعا الحلول لكل تلك المعوقات مسخرا العناصر البيئية ومكوناتها في خدمة الإنسان وكان للفقه الإسلامي دوره في تعيين المنظومة البيئية ثم الانتقال الى مرحلة التنظير في الفكر العماري ، وفي الجانب الاقتصادي[23] لم يرى المسلمون بد من الانتباه الى عدم التبذير والإسراف غير المبرر في إنشاء المساكن مؤكدين على ضرورة ان يكون البناء وفق حاجة الإنسان بعيدا عن التكلف والتصنع مقتدين بالقرآن والسنة في ذلك . وليس كما يفعله العماريون الآن من هدر لأموال المسلمين بتطاولهم في البناء معتمدين التباهي والتفاخر على حساب الوظيفة التي اعتمدها المسلمون أساسا لتصاميمهم ، ولكن هذا لايعني الالتزام بالتجريد الشكلي والاكتفاء به والابتعاد عن العناصر الجمالية .

وفي مجال خصوصيات السكن كان للمسلمين دورهم في إنضاج تصاميم تؤمن للناس منع الضرر وغض الأبصار وتوفير فسحة من الحرية لأفراد المسكن للتعبير عن ذاتهم داخل مسكنهم سابقا بذلك المصمم الحالي من حيث تحديد الفضاءات وخصوصيات كل فضاء وتسخير العناصر البيئية والجمالية والفراغات والكتل لتكمل بعضها البعض الآخر مذكرة العبد بقدرة الخالق سبحانه وتعالى مع توفير أجواء الراحة والأمان والطمأنينة له. وقد أكد المسلمون على مفهوم المتانة واستخدام أساليب تنفيذ ومواد بنائية تحقق ذلك المفهوم في ارض الواقع .

لقد وضع المعاصرون حدوداً دنيا للمساحة الخاصة في كل فضاء في المسكن وحددوا ارتفاعات ونسب تحكم تلك المساحات في حين ان ذلك كان من أولويات المصمم الإسلامي[24] في تحديد المساحات والحجوم الخاصة لكل فرد من خلال تصاميم تحمل أعلى كفاءة وظيفية شريطة تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات بعيدا عن الهدر في المساحات كما يحصل في عصرنا الحاضر . لقد احترم المصممون المسلمون في غالبيتهم القياس الإنساني وارتبط ذلك بارتفاع المباني وفتحاتها وشبابيكها واستخدموا الوسائل العمارية الضامنة لتحقيق المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية والتزاما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

ثامنا : التوصيات :-

1. على المهندسين ان يبدعوا نظما تصميمية وتنفيذية تحافظ على مبدأ الوسطية في معايير الإسكان وأساليب البناء والمواد الداخلة فيه لتحقيق مسكن إسلامي متوسط لكل أسرة .
2. عدم تجاوز الحقوق والمحددات الإسلامية والتفكير بقيم جمالية واعتماد البساطة في التصميم .
3. حث الأغنياء على عدم التباهي والتفاخر وهدر الأموال في إنشاء مساكنهم اقتداءا بقول الرسول الكريم (ص وسلم) : (الذي أغناه الله ولكنه اختار الزهد في المسكن لينعم في الآخرة) .
4. الأخذ بخصوصيات بعض المدن (المدن المقدسة مثلا) مع مراعاة زمن التصميم وبما لايؤشر نشازاً مع النسيج العمراني المقبول إسلاميا وعصريا زمانيا ومكانيا .
5. تحديد المساحات والحجوم للمبنى ومعدل المساحة الخاصة لكل فرد بما يكفل راحة الإنسان وسعادة المجتمع وتحقيق التوازن المطلوب وبأعلى كفاءة وظيفية وعدم هدر المساحات التزاما بالقيود الإسلامية .
6. استخدام الأنماط الاقتصادية التي تمنع هدر أموال المجتمع والفرد في التنفيذ مع ضمان المتانة والقوة والأمان في المسكن .
7. على المصمم ان يجعل للبيئة دورها الأساسي في توزيع فضاءات المسكن من خلال حق التهوية والاضاءة الطبيعية والاستفادة من أشعة الشمس وتوفير الراحة النفسية والتفكير بالسماء وماخلق الله وذلك من خلال الصحن الداخلي (الفناء) .
8. ضرورة احترام خصوصية غض البصر ومنع ضرر الكشف من خلال اختيار المصمم لموقع فتحات الأبواب والشبابيك والفصل المناسب للفضاءات داخل المسكن لمنع الاستماع من فضاء الى آخر من غير المسموح به .

9. ضرورة تحديد الموقع الذي يجب ان يكون سليما دينيا وماديا من كل المحرمات والآفات قبل المباشرة بالتصميم والتنفيذ .
10. عدم اعتماد المستوى المادي والطبقي أساسا لتوزيع الأراضي السكنية .
11. إعطاء الإنسان حق البناء ضمن اطر يحددها المشرع بحيث لاتؤدي الى الضرر بالنفس أو الجار أو المجتمع لضمان حقوق الإفراد والمجتمع .
12. ضرورة الارتباط الشامل بين الوحدات السكنية والدينية والتعليمية والتجارية والصحية والترفيهية باعتبار الإنسان مركز الثقل الأساس في كل هذا التكوين العماري .

تاسعا : المصادر والمراجع :-

1. القرآن الكريم .
2. سنن الترمذي 2341 .
3. Steadman , J ,P , "Architectural Morphology" Pion ltd london , (1983)
4. Gottlieb , lois Davidoson , Environment and Design in Housing , The collier Maccmillon Limited company , London , 1968 , p.p 90,228
5. Adams , Barbara , the familyat Home . "Astudy of Households in sheffield" Her Maiest's office , London , 1969 , p . 1-50
6. Pollowy , Anne – Marie "The urban Nest" Dwden , Huthcinson and Rosslnc . , stroud sudurg , Pennsyl vania , 1977 , p , 97-54
7. Spence , will iam,p.,Architecture , engineering Drawing , Bennt & Mcknight publishing company , ADivision of Macmcllan , Inc . Perio , hlinois , 1985 p98.
8. Talcott , c .Hepler , D., wallach , p. Home planners Guide to residential desgin Graw – Hill Book Inc . New york 1986 , p65 .
9. Amorim , Luizthe "sectors paradigm" understanding modern functionalism & Its effect in configuring domestic , space , space syntar . first international symposiy , VII , the Bartlett school of Graduate studies London , 1997 , p18.
10. Hillier , B.and Hanson , J , The social logic of space , cambridge university press ,1984 , p4.
11. العمري ، حفصة رمزي ، أثر أحكام المسكن الإسلامي على المعايير التصميمية والتنفيذية ، مجلة هندسة الرافدين ، كلية الهندسة – جامعة الموصل مجلد 16 العدد 1 سنة 2001 ص41 ص44 ص47 .
12. سيرفس ، الاستشاري بول ، معايير الإسكان ، مخطط الإسكان العام ، المؤسسة العامة للإسكان . لجنة خاصة في وزارة الحكم المحلي الملغاة ، 1988 الأمر الوزاري 5653 في 1985/10/21 .
13. العابد ، بديع" نشأة الفكر العماري العربي الإسلامي وتطوره " معماري استشاري/ الأردن / مجلة المدينة العربية / العدد 39 السنة الثامنة 1989 ص7 – 9 .
14. ابن خلدون ، المقدمة ،دار البيان ص261 . ص30 الطبع الثالثة ج 2 ص89 .
15. التوحيدي ، أبو حيان ، البحر المحيط (التفسير الكبير) ، مكتبة ومطابع ،النصر الحديث ، الرياض ، السعودية ج7 ص32- 35-29
16. ابن الرامي ، أبي عبد الله محمد البلخي ، الإعلان بأحكام البنيان ، تحقيق محمد عبد الستار عثمان ، مصر ، ج 19 ص54.
17. الجهة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان – الدورة السادسة 1991 الفقرة (1،11) .
18. أبا الخيل ، عبد العزيز ، الكتاب والسنة مقتبسة ، أساس تأويل العمارة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية 1989 ص(32 ، 36 ، 75)
19. العربي ، قدري ، التصميم العمراني والعماري وقيم التراث الإسلامي ، إدارة التعاون الفني للتنمية في الأمم المتحدة 1989 ص73-74 و ص77-78).
20. الأندلسي ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان 1952 ج1 ص 222.
21. البهنسي ، عفيف ، المدينة والعمارة على الأرض العربية عبر التاريخ ، بحث منشور 1989 ، أستاذ تاريخ فن العمارة / جامعة دمشق ص73 و ص86.
22. مجلة المدينة العربية ، مجلة متخصصة تصدرها منظمة المدن العربية ، العدد 39 ، السنة الثامنة 1989 ، رئيس التحرير عبد العزيز يوسف العدساني / أمين عام منظمة المدن العربية ص 8.
23. الزمخشري ، جار الله محمود ، الكشاف في حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3 ص236
24. العبادي ، داود ، أزمة الهوية العمرانية لدى المسلمين ، مجلة المهندس الأردني ، ع51 ، 1993 ، ص18 .1